المروءة

مصدر مطوي

للدكتور بشر فارس

ذهبت المروءة وجاءت في تآليف العرب حتى انتهى بها الأمر أن وقعت موقع الفضيلة . وقد كثر الكلام عليها لاشتباهها . من ذلك تلك الأقوال التي قيلت فيها والتعريفات التي عرفت بها ، وهي متباينة بل متضاربة (١)

واليك فصلاً فيها من « كتاب الفتوة » لأخي أحمد المحب بن شيخ محمد بن ميخائيل الأرديلي (وتاريخ وفاته مجهول) . وكثيراً ما يذكر الأرديلي في كتابه هذا أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (٣٣٠ — ٤١٢ هـ) صاحب « كتاب الفتوة » ، ثم القشيري (٣٧٦ — ٤٦٥ هـ) صاحب « الرسالة » . فالأرديلي لاحقٌ لهما إذن . أضف الى هذا ان السلمي والقشيري من المتصوفة . ولذلك تدخل الفتوة على قلم الارديلي في التصوف ، وكذلك المروءة التي هي شعبة من شعبها في كتاب الأرديلي . هذا وبين المروءة والفتوة أوجه شبه ، سواء في كتب الادب أو في كتب التصوف

وكتاب الفتوة للأرديلي لا يزال مخطوطاً . وهو مخزون في دار الكتب لآيا صوفيا ورقمهُ ٢٠٤٩ ، ويقع من صفحة ٩٩ الى صفحة ١٠٧ (٢) . وأما الفصل الذي في المروءة وعنوانهُ « باب في بيان المروّة » فيقع في صفحة ١٠٦ (٣)

ب . ف .

---

(١) في كتاب من هذا القلم اسمه « مباحث عربية » يظهر في شهر ابريل من هذه السنة في مصر ، مبحث عنوانه « المروءة : كلمةٌ ومعنىً » . وهذا المبحث يتناول لفظة المروءة من نواحيها المتعددة

(٢) وقد وصف هذا المخطوط المستشرق الاستاذ تيشنر F. Taeschner في مبحثه : Der Anteil des Sufismus an der Formung des Futuwwaideals في مجلة Der Islam المجلد ٢٤ ص ٥٨ . وهذا الباب الذي اشرنا اليوم قد بحث به الى المستشرق تيشنر ؛ لله الشكر

(٣) تنبيه : ما يقع تحت هاتين العلامتين [ ] يفيد تصويباً من عندي — هذا وقد حافظت على رسم الحروف في المخطوط ، وأما الترقيم فمن عندي

باب في بيان المروّة

« قوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)[1]

وقال النبي صلّى الله عليه وسلم : (ستّة من المروّة ثلثة منها في الحضر وثلثة في السفر. فأما اللواتي في الحضر فتلاوة كتاب الله تعالى وعمارة مسجد الله واتّخاذ الاخوان [في] الله ، وأما اللواتي في السفر فبذل الزاد وحسن الخلق وكثرة المزاح في غير معصية الله)[2]

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (ضيع خصال عماد المروّة : أن لا تقاتل المسلمين الاّ مع امام عادل ، وان تؤمن بالقدر خيره وشرّه ، ولا تطلب من علم النجوم الاّ ما تهتدي به في البرّ والبحر فانها تدعو الى الكهانة ، ولا تسبّ احداً من المسلمين ، ولا تذل ولا تفرّ)

وقال الحسين بن علي رضي الله عنه : (المروّة صيانة دينه والجهد باصلاح نفسه والقيام على صفة الاحسان مع خلق ربّه)

وقال مالك بن دينار : (المروّة ترك الآثام وصلة الارحام ولطف الابتسام وموافقة الملك العلاّم)

وقال السرّي : (المروّة كتمان القاقة ورفع الحاجة) يعني حاجة غيره

وقال الشبلي : (المروّة ان تختار حقّ غيرك على حقّك وان تختار ربّك على دنياك ولا تختار من الدنيا الاّ الدين ولا من الآخرة الاّ الربّ)

وقال النوري : (المروّة بذل الندى وكفّ الأذى وترك الهوى والزهد في الدنيا وطاعة المولى)

وقال أبو بكر الوراق رحمة الله عليه : (المروّة ثلثة : الخلق والصدق والرفق)

وقال فضيل رحمة الله عليه: (المروّة الاستغناء عن الناس وترك وإليك ! وتركك لواليك؟ الحاجة الى الناس) . وقال : (من اختار الدنيا فلا دين له ومن اختار العقبى فلا مروّة له او اختار غيره عليه)

---

(١) سورة النحل آية ٩٠

(٢) هذا الحديث مما لم يدون في أصول الستة : راجع معنا « المروءة : كلمة رمز » المذكور قبل

وقال محمد بن واسع رحمة الله عليه : (المروّة تقديم حقّ الحقّ على حقّ الخلق)

وقال الجنيد رحمة الله عليه : (المروّة ترك معصية الله تعالى حياء من الله تعالى ، والمحافظة على طاعة الله تعالى خوفاً من الله تعالى)

وقال الحكيم : (المروّة ان يعامل الغير بما يرضى لنفسه ، ولا يفعل في خلواته ما يستحي منه في ملواته [جلواته] (١))

قال ابو اسحق الطبري : (المروّة خمسة اشياء : انصاف من النفس وبذل المال وصلة الرحم والتورّع [عن] الشبهات والحلم عن الجاهل [الجاهل]) وقد جمع الله تعالى ذلك في قوله تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي)

وقال معمر بن كرام رحمة الله عليه : (من لا حياء له لا مروّة له ، ومن لا مروّة له فلا دين له)

وقال الحسن البصري رحمة الله عليه : (ليس من المروّة ان يرتع الرجل على صديقه)

سئل عن [سئل] البوشنجي رحمة الله على [عليه] : (ما المروّة) قال : (حسن السرّ) قيل لمعاوية : (ما المروّة) فقال : (اطعام الطعام وضرب الهام)

قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنهُ : (لا وفاء للول ولا مروّة لكذوب)

قال أبو الحامد رحمة الله عليه : (المروّة على ثلثة اوجه : مروّة القلب ومروّة الروح ومروّة السرّ . فمروّة القلب اجتناب [اجتناب] الريب والشبهة ، ومروّة الروح محافظة اهل الصدق والحكمة ، ومروّة السرّ ادامة الذكر والخدمة . فعلامة مروّة القلب القناعة بالقسمة ، وذلك مذكور في قوله تعالى: (من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينّه حيوةً طيّبة) (٢)، والحيوة الطيّبة هي القناعة . وعلامة مروّة الروح الشكر على النعمة، وذلك مذكور في قوله تعالى : (اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم) (٣) . وعلامة مروّة السرّ الصبر في اول الصدمة ، وذلك مذكور في قوله تعالى: (وبشّر الصابرين الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انّا لله وانّا اليه راجعون) (٤) »

---

(١) « الخلوة : محادثة السر مع الحق حيث لا ملك ولا احد سواه — والجلوة: خروج العبد من الخلوة بالصورت الآلية » عن « اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية » ص ٨ تحت ، طبع ذيلا لتعريفات الجرجاني ، مصر ١٢٨٣

(٢) سورة النحل آية ٩٧ (٣) سورة البقرة آية ٤٠ (٤) سورة البقرة آية ١٥٥ ، ١٥٦